Coptology

هل يُمكن أن يُختزَل التاريخ في شخص ما؟ – ١

دكتور

جورج حبيب بباوي

٢٠١٦

www.coptology.org

هل يمكن أن يُختزَل التاريخُ في شخصٍ ما؟ –١

بدايةً، أتمنى أن أرى قاموس المصطلحات اللاهوتية الذي كانت التوصية بإنجازه، هي إحدى الثمرات الحلوة للمؤتمر الذي عقده قداسة البابا تواضروس الثاني في الخامس والعشرين من الشهر الماضي بدير الأنبا بيشوي بوادي النطرون. لأن هذا القاموس سوف يكون هو أول مشروع قبطي في العصر الحديث، لم يسبقه إلا معجم كلمات المزامير الذي أنجزه الآباء، والتي لا تزال بقاياه قابعة في المتحف البريطاني، فضلاً عن أنه سوف يعد بمثابة قاعدةٍ تستند إليها الدراسات اللاهوتية، تسهم في ضبط عملية التعليم اللاهوتي في الكنيسة القبطية وتنأى بها عن خبط العشواء والآراء الشخصية المنبتة الصلة بالتسليم الرسولي، الأمر الذي نراه قد استشرى في كنيستنا القبطية منذ ما يزيد عن أربعين سنةٍ مضت، وقد حان زمان الكفِّ عن هذا الهزل.

شيعة جديدة يدعو إليها الأنبا بيشوي مطران كفر الشيخ:

حول نيافته اجتمعت مجموعة من الذين يعلِّمون أبناء وبنات الكنيسة كيف يهاجمون، بل ويشتمون وينشرون الكراهية، ولو باختراع الأكاذيب. فباسم البابا شنودة الثالث يحركون عواطف الذين أحبوه، ظانين أنه يمكنهم أن يعودوا مرةً أخرى إلى مركز الصدارة والقيادة الذي فقدوه بنياحة البابا شنودة، حتى وإن جاء ذلك على حساب الإيمان! في حين أنه لو كان الأنبا شنودة الثالث بين ظهرانينا الآن، لرفض هذه الشيعة الجديدة.

كيف يسوغ لإنسان عاقل، ولا أقول مسيحياً، أن يصف الأخوة في مركز دراسات الآباء بأنهم دعاة لاهوت غربي؟!! وإذا سايرنا هذا المتقوِّل على قدر عقله،

فأي لاهوت غربي يقصد؟ هل هو الكاثوليكي؟ أم البروتستانتي بكل فروعه؟ أم أنه الأنجليكاني الذي يعشقه الأنبا موسى حبيب أنسلم وتابعه في شرح أسباب موت الرب؟ أم لاهوت يوحنا كالفن الذي لا يريد الأنبا بيشوي أن يتخلى عنه في تعليمٍ ينطوي على تجديفٍ ظاهرٍ، مؤداه أن الآب عاقَب ابنه وصبَّ عليه جام غضبه وهو على الصليب؟!

أالذين يترجمون نصوص الآباء ويضعونها بين أيدي شعب الكنيسة آملين في نهضةٍ تأخذ الكنيسة القبطية في العصر الحديث من وهدة التعليم البروتستانتي، إلى قمة التسليم الرسولي، يُوصفون -هكذا- بأنهم دعاةُ لاهوتٍ غربي؟ فبماذا إذن يُوصف الأنبا بيشوي وتابعيه ومن قبلهم البابا شنودة الثالث؟

التسليم الكنسي الذي يرفضه الأنبا بيشوي:

في أواخر القرن الرابع، وبعد أن انتشرت البدع بشكل أصبح يهدد وحدة الكنيسة، كتب Vincent of Lerins كتابه المشهور Commonitorium أو Commonitory أي "إحياء الذاكرة"، والعنوان هو: فحص الإيمان المُسلَّم إلى الكنيسة الجامعة، وفرزه من سُمِّ الهرطقات. وقد أشار إلى هذا الكتاب جناديوس المؤرخ، وقد توقف الكتاب والكاتب عند بدعة نسطور، مما يدل على أنه لم يعاصر مجمع خلقيدونية.

في هذا الكتاب وضع فنسنت ثلاث علامات للتسليم الكنسي، وهي:

١- ما هو معروفٌ في كل مكان، أي في كل كنيسة Universal.

٢- ما هو قديمٌ ومسلَّمٌ عبر أجيالٍ عاشت قبلنا Antiquity.

٣- ما هو مقبولٌ ومعروفٌ في كل مكان Consent.

ومن هذه المبادئ الثلاثة، وعلى أساسها انطلق في البحث في تاريخ الهرطقات؛ لأنه أراد من إحياء الذاكرة، أن يؤكد فساد وزيف الهرطقات كلها؛ وقد اكتشف فنسنت أنها جاءت نتيجة لـ:

١– تفسيرٍ محلي ملتوي.

٢– شرحٍ جديدٍ احتوى على إنكار ما هو ثابت.

٣– تعليمٍ غير مقبول في كل مكان، ولا معروفٍ على مستوى الكنيسة الجامعة.

عرض جنون الشيعة الجديدة على قواعد فنسنت

إذا درسنا ما ذكره Vincent بل وما هو ثابت في وثائق التاريخ الكنسي، وطبقناه على التعليم الذي يشيعه الأنبا بيشوي وأتباعه، لظهرت الحقائق الواضحة التي لا يمكن وصفها بأنها رأي واحد من الناس، بل هي شهادة التاريخ:

١– لا يوجد تعليم عام مسكوني يفصل أقنوم الروح القدس عن المواهب. وبالتالي فإن عبارة "حلول مواهبي" ليست إلا عبارة حديثة لا هدف لها إلا التستُّر على خطأ في التعليم.

٢– لا يوجد في ممارسات الكنيسة، أي في كل الليتورجيات الأرثوذكسية، استدعاءٌ لمواهب أو لقوة أو لطاقة، بل استدعاء للروح القدس، لا سيما في خدمة سر الإفخارستيا. هذا معروفٌ شرقاً وغرباً، وتشهد له القداسات، ورسائل القديس أثناسيوس إلى سرابيون عن الروح القدس.

"البدلية" تعليمٌ جديد:

يعرف الذين عاصروا الدولة المصرية منذ نشأتها في العصر الحديث على يد محمد على أن الذين كانوا لا يرغبون في تأدية الخدمة العسكرية كانوا يدفعون ما يسمى بـ"البدلية"، وهي على ما أذكر كانت ٢١ جنيهاً مصرياً فيما قبل ثورة يوليو. وبالرغم من الأنبا بيشوي لم يعش هذه الفترة، إلا أنه استدعى هذه الكلمة المهجورة الآن في الثقافة المصرية، وأحياها من جديد -في غير موضعٍ- معبِّراً بها عما تصوَّر هو أنه التعليم المسيحي عن تدبير الخلاص، وقد عنى بها حسب ما نشره في كتيب "عقيدة الفداء والكفارة":

١- أن المسيح احتمل عقوبة خطايا البشر بديلاً عنا.

٢- أن الآب سكب غضبه عليه.

وقد عرفت مصادر اللاهوت الإنجيلي بكل فروعه، هذا التعليم باسم "البديل العقابي"، وهو التعليم الذي بدأه أنسلم، واكتمل على يد لوثر وكالفن. والفعل المشتق منه الاسم "البديل" Substitute هو فعلٌ أُضيف إلى اللغة الانجليزية من اللاتينية عبر ما يُعرف باسم Later Middle English حسب دراسة تاريخ الكلمات الإنجليزية في قاموس جامعة أوكسفورد طبعة ٢٠٠٢ ص ٤٩١-٤٩٢. وهذا المصطلح "البديل العقابي" يعني أن المسيح له المجد قد حلَّ محل الخطاة. وقد تناول أساتذة لاهوت حركة الإصلاح هذا التعليم بالشرح على مر السنوات الـ ٥٠ الماضية، فرفضه بعضهم، بينما تمسك به البعض.

وقد صلنا هذا التعليم في مصر عن طريق كتاب "اللاهوت النظامي" وهو كتاب التعليم الخاص بالكنيسة الإنجيلية المصرية، كما وصلنا عن طريق تفاسير ماكنتوش ومتى هنري، وهي الكتب التي تربَّى عليها جيلٌ من أقباط الأربعينات.

الأخطاء الظاهرة فيما يسمى بـــ "البدلية":

١– لم يفهم هذا التعليم أن الابن هو خالق البشر وليس مجرد إله آخر جـــاء لكي يرضي الآب، بل الآب هو الذي أرسله لأنه أحب الخطاة (يوحنا ٣: ١٦).

٢– لم يؤكد هذا التعليم علاقة موت المسيح على الصليب، والـــذي اعتـــبره عقوبة، بتجديد الإنسان الخاطئ، وبهذا تفصل "البدلية" موت الرب عن سر المعمودية الذي فيه يجوز المعمَّد الصلب والدفن والموت والقيامة مع المسيح (رو ٦: ١–٨).

وبالتالي تثور عدة تساؤلات:

أ– أين ما يسميه الأنبا بيشوي بـــ "البدلية" من قول رسول المســـيح: "مـــع المسيح صُلبت"؟ وكيف يتفق تعبير "البدلية" مع حياة "لُبَّاس الصليب"، الذين تغلغـــل الصليب في كيانهم؟ ولماذا تسميهم الكنيسة "لُبَّاس الصليب" إذا كان المســـيح صُـــلِبَ "بدلاً"؟

ب– لماذا نعترف نحن بشركتنا في مـــوت الـــرب وقيامتـــه وصـــعوده إلى السموات، في كل مرة نتناول فيها الإفخارستيا في القداسات، ما دام هناك بديلٌ؟

جـــ– وإذا كان الصليبُ بدلاً أو ثمناً دُفِع، فكيف نرشـــم الصـــليب باســـم الثالوث، وهي صيغة التعميد على قربانة الإفخارستيا التي يتوســـطها صـــليبٌ كـــبير "الإسباديقون" يجمع حوله اثنا عشر صليباً هم جماعة الرسل؟

اختزال التاريخ، والعودة إلى فنسنت Vincent:

إذا أردنا أن نتحقق من مدى صحة واتفاق التعليم بالبدلية، وهو تعليم الأنبـــا بيشوي الخاص، كما سبق وأوضحنا، مع التسليم الرسولي، فعلينا أن نحتكم إلى تلـــك القواعد التي صاغها فنسنت، وأن نعرِّض هذا التعليم لضوء التاريخ الكنسي، وبالتـــالي

علينا أن نسأل:

أولاً: هل عرفت الكنائس الأرثوذكسية فكرة "البديل العقابي" قبل عصر الأنبا بيشوي؟ هل هذا معروفٌ عند الروم والسريان والأرمن؟ أبداً.

ثانياً: هل هذا التعليم له شهادة من التاريخ القديم عند الآباء اثناسيوس وكيرلس الكبير؟ أبداً.

ثالثاً: هل ورد هذا التعليم قبل ميمر العبد المملوك الذي لا زال يُقرأ حتى الآن في المهجر، وكان يُقرأ في دير السريان إلى عهد قريب بالرغم من منع البابا شنودة لقراءته؟ هل انشق الثالوث إلى رحيم وعادل، فاختص الآب محب البشر بوصف "العادل"، واختص الابن بوصف "الرحيم"، وبذلك يكون تدبير الخلاص عبارة عن صراعٍ بين الآب والابن؟!!!

هل يصح لنا أن نعتبر عوض سمعان وماكنتوش وسبرجن وغيرهم من أقطاب النهضة الإنجيلية في القرن التاسع عشر، أنهم آباء الكنيسة القبطية الأرثوذكسية، بينما يصبح أبونا ساروفيم البراموسي، وأبونا أثناسيوس المقاري، والأنبا أنجيلوس وباقي الـ ١٩ اسماً الموضوعين على قوائم أنبا بيشوي بغرض الشتم والتشهير، بروتستانت؟

هل يصح أن نعتبر الأنبا بيشوي واتباعه الغارقين في زبالة النهضة الإنجيلية هم المعبِّرون عن الأرثوذكسية، فيما يوصف الأرثوذكس الحقيقيون بالبروتستانت؟

إنه حقاً زمنٌ عجيب.

د. جورج حبيب بباوي